هندسة الدور الخصوصية

في العاصمة

(وتأثيرها على الصحة)

الدكتور سامي شوكت
مدير صحة العاصمة

يظن البعض ان اقليم البلاد الحارة جعل ان تكون هندسة دور السكنى عندنا هي غير هندسة الدور الاوربية المدنية المغطاة — والحقيقة ان التجارب الاخيرة التي قام بها بعض المهندسين الفنيين من بناء دور مغطاة في العاصمة شبيهة للدور الاوربية اتت بنجاح باهر واظهرت فساد النظرية السابقة — فالدور عندنا في العاصمة الان هي اشبه بدور الفلاحين التي يعبر عنها (بالجماعة) اي عبارة عن غرف تبنى حول فناء مربع او مستطيل ولا تتجاوز الطابقين — وفي هكذا دور غالبا ما تنحصر الاستفادة من الشمس والهواء لفناء الدار فقط واما الغرف فاغلبها تبقى محرومة من الشمس وجريان الهواء هذا من جهة واما من الجهة الثانية فتكون حرارة الدار متفاوتة الدرجة بصورة مريعة جدا مما يتعذر عَلَى الساكن في هكذا دور ان يخرج من غرفته في ليالي الشتاء ويقضي بضعة دقائق خارج الغرفة كما انه يصعب عليه جدا ان يخرج في ايام الصيف الحارة من غرف الصيف الموجودة في الطابق التحتاني للدار ويقضي بضعة دقائق خارجها ومن ثم ان الساكن في هكذا دور لو اراد الاستحمام في حمام داره في ايام الشتاء يصعب عليه الانتقال من غرفة الحمام الى غرفة المنام وذلك كله لتفاوت درجة الحرارة مابين الغرف المغطاة ووسط الدار المكشوف حيث ان في ليالي الشتاء التي تنزل درجة الحرارة التي ما تحت الصفر ٢ — ٥ سانتغراد في وسط الفناء نرى درجة حرارة الغرفة المغطاة والمسخنة في النار وسائر الوسائط التسخينية تتراوح بين الـ ٢٠—٢٥ درجة ما فوق الصفر في درجة سانتغراد والجسم البشري الذي يعرض خلال بضعة ثواني او دقائق من برودة تحت الصفر خمسة الى حرارة ما فوق الصفر (٢٥) او بالعكس من درجة حرارة فوق الصفر (٢٥) الى برودة تحت الصفر (٥) لا شك من انه يكون معروضا لخطر الامراض التنفسية والنزلات الصدرية المتنوعة والروماتيزم وغيرها من الامراض التي وافقة للوجود بالمرصاد وتنتظر حدوث ضعف وتبدل آتي في الجسم للاستيلاء عليه ونشب مخالبها فيه — وان اكثر اسباب امراض ذات الرئة التي كثيرا ما تنتهي بالموت بين الشيوخ والاطفال هو عرض الوجود عَلَى هكذا درجات متفاوتة جدا من الحرارة والبرودة تبلغ في اغلب الاحايين الى (٣٠) درجة سانتغراد وفي ذلك مافيه من الاضرار الصحية البالغة والضياع في الانفس وعدم نوال الاستراحة والرفاهية الصحية داخل الدار ولذلك اني ارى من المحتم لصحة اهالي

العاصمة ان تتبدل طرز ابنية الدور الحاضرة وان يكون انشائها في المستقبل على قاعدة الدور الاوربية المغطاة باستثناء تمام لا يحتاج تغير وهوان يجعل سقفها مسطح كسطوحنا الحاضرة وليس مائل كسطوح الدور الاوربية وذلك للاستفادة منها في ليالي الصيف لاجل النوم — وعَلَى شرط ان تكون جهتين من جهات الدور الاربعة عَلَى الاقل غير متصلة بدور اخرى اي تكون حرة وطلقة وذلك ليعطى مجالا لنفوذ النور والهواء الى داخل الدار واظن ان اصلاح العاصمة باجمعها عَلَى هذا الطرز من الصعوبة بمكان وتحتاج الى عشرات من السنين ولذلك ارى تشجيع الحكومة وتسهيلها لاصحاب رؤوس الاموال والشركات الفنية لبناء عاصمة جديدة قرب مدينة بغداد عَلَى الطراز المذكور اعلاه هو اقرب للنجاح من التشبث باصلاح العتيق وترك العاصمة العتيقة للاشغال التجارية والصناعية كما اني اود بهذه المناسبة ان اجلب انظار الدقة الى نقطة اخرى مهمة في طرز انشاء الدور عندنا وهي جعل السقوف وتكوينها من سطحين متوازنين مما يبقي بينها بطبيعة الحال مسافة واسعة لا يقل ارتفاعها عن العشرون سانتيمتر وربما بلغ في بعض الاماكن الخمسون سانتيمتر وهذه المسافة طبعا تكون ممتدة عَلَى طول السقف لا يدخلها نور ولا هواء وليس لها منفذ او مدخل ليتمكن الناس من تنظيفها وكنسها وتطهيرها بل انما تبقى هذه المسافة مغطاة ومسدودة من ساعة تسقيف الدار الى ساعة خرابه وربما امتدت المدة بين هاتين الساعتين اكثر من عصرين وخلال هذين العصرين تضحى هذه المسافه المعتمة الخندسية مأوى ومركزا وعشا للفيران والعقارب والوزغ والعناكب والافاعي والخنافس والنمل وسائر ما يمكن ان يعيش من الحشرات والهوام في اقليم كاقليم العراق ولو كانوا هؤلاء الحشرات والهوام اتخذوا هذه المسافة مسكنا لهم وتمتعوا بحرية السكنى والالتجاء ولما تعرضوا لاصحاب الدار الحقيقيين وهم البشر باذى لما كان احدا تعرض لهم وتشبث بزعزعة عيشهم ولكن ياللاسف ان هؤلاء الحشرات والحيوانات لا يكتفون بالتمتع باستراحة السكنى والوقود بل انما يضطرون في كل حين عَلَى الخروج من وكرهم هذا طلبا للرزق او بقصد التنزه فيحدث من هذا الخروج كثير من الاضرار الوخيمة والمهلكة عَلَى اصحاب الدار الحقيقيين فمثلا تسبب الفارة الساكنة في سقف البيت حصول مرض الطاعون المهلك لاهالي الدار بسبب البراغيث العديدة التي تحملها بين طبقات شعر جلدها وبسبب الوزغ حصول مرض الاوقسيور كما ان الخنافس وسائر الحشرات التي تتمشى على الاقذار تمشي في الوقت ذاته عَلَى المأكولات التي يتركها اصحاب الدار او ينسوها مكشوفة فتولد لهم مختلف الامراض التي تنتقل من الاقذار للبشر وناهيك عن الشعور الذي يستولي على الانسان اذا ما وجس افعيا ممدودا لجانبه في الفراش او عقربة تدبي على فخده وناهيك كذلك عن الوقائع الفجيعة التي تحدث من لدغ هكذا حشرات وحيوانات مسمة للبشر .

وسبب جعل السقوف عندنا عَلَى سطحين هو عدم وجود الاخشاب المستديرة والمستقيمة في العراق فيضطر البناؤون عندنا عَلَى تسقيف السقوف باخشاب معوجة ومحدودبة مما تكون منظرا غير جيدا فيضطرون بطبيعة

الحال لاجل ستر مناظر هذه الاخشاب المعوجة والمقوسة عَلَى تغطيتها بالواح خشبية مستقيمة او بطبقة من الكاس حيث تساعد للدهونات والاصباغ والنقوش فيحدث من جراء ذلك المسافة التى بسطنا حكايتها في الاسطر السابقة وتصبح مركزا لهذه الهوام والحيوانات التي هن منبع بلاء عظيم عَلَى ساكن بغداد الا ان ارتباط العراق اخيرا بالبلاد الصناعـية والمدنية وخاصة باوربا والهند بواسطة الطرق التجارية البرية والبحرية خففت كثيرا من هـذا الاحتياج وجعلت امكان جلب الاخشاب المتديرة والمستقيمة امر ميسور كما انهـا جعلت امر استيراد القضبان الحديدية كذلك من السهولة بمكان فعليه لا حاجة لاهالي العراق من الان وصاعدا عَلَى جعل وانشاء سقوفهم من طبقتين كما كانوا يفعلون منذ ربـع قرن ٠ ولذلك صرت ترى الابنية في يومنا هذا في عاصمة العراق يبني القسم الاعظم منها ويسقف بقضبان الحديد الذين يوصلون بعضه بالاخر بالاجر والكلس مما يتكون من ذلك طبقة واحدة صلبة مكونة من الحديد والـكلس والاجر مما يستحيل عَلَى اي حشرة او دودة تعيش داخلها وعلى سطحها وذلك تكون البيوت الجديدة والمنشأة عَلَى هـذا الطراز سكناها موافق للصحة اكثر من البيوت القديمة الهرمة ٠

وثم اود ان الفت النظر الى نقطة اخرى من الاهمية بمكان وهي لزوم اعتناء الاهالي بمحافظة ذخيرتهم ومأكولاتهم التي يذخرونها في البيت بصورة لا تعطي مجالا لان يتعيش فيها غيرهم من الفيران او الحشرات وذلك لا بخلا وضنا عَلَى هؤلاء الفيران والحيوانات بل لاجبار هذه الحيوانات عَلَى الرحيل من سكنى الدار واستيطانها اماكن اخرى حيث الحيوانات التي تجد الطعام والظل والامان في دار يستحيل عليها ان تتركها من تلقاء نفسها كما ان يصعب على السكان محاربة هذه الحيوانات وطردها من دورهم في الوقت الذي تكون فيه هذه الحيوانات مالكة عَلَى امنع الحصون واصعبها فتحا واقتحاما وهي المسافات البين السقوف التي اشرنا اليها سالفا ولذلك تضطر الاهالي هنا ان تشارك الفيران والحشرات في سكناها وطعامها وشرابها وعليه اني ارى محاربة الفيران بطريق وضع السم لها وصيدها بواسطة المصيدات والقطط والكلاب ليس له سوى فائدة جزئية ولكن اصل محاربتها واتلافها ينبغي ان يكون اولا تبديل طرز الانشاآت ثانيا بحفظ المأكولات بمخازن واواني مقفلة ومغطاة ومحكمة السد تماما بحيث يتعذر عَلَى هكذا حيوانات التسلط عليها والاستفادة منها ولذلك اني ارى طالما اتصلنا بالهند اضحى عَلَى هذا الوجه من الالتصاق بحيث اصبحنا مع الاسف نجلب حتى فواكهنا وخضراواتنا من هذه المقاطعة الغنية حتى بفيرانها وامراضها التي لا تنقطع عنها الطاعون في اربعة مواسم السنة لا يمكن لنا بوجه من الوجوه ان نتخلص من مرض الطاعون مالم نتخلص من الفيران الساكنة في دورنا حيث ان اقليم العراق لا يساعد لنمو البراغيث وسائر الجراثيم خلال اربعة مواسم السنة كما هي الحالة في الهند بل بالعكس ان شمسه المحرقة في الصيف و برده الشديد اليابس في الشتاء كاف لاتلاف ومحق البراغيث والجراثيم المرضية التي تنتاب البلاد في مواسم الربيع والخريف لذلك اذا تمكنا من عدم ادخال جرثومة مرضية جديدة من الخارج

فامراض العراق تسهل مكافحتها وابادتها بطبيعة الحال هذا من جهة واما من الجهة الثانية فاننا يصعب علينا ان نبيد الفيران ونطردها من بيوتنا مالم تصلح طرز انشاآتنا اولا ونمنع هذه الحيوانات من ان تشاركنا في اطعمتنا التي ندخرها في البيت فالفارة عندما تفقد مـاكنها في الدور وغذائها في المخزن تهجر المدنية بطبيعة الحال وتذهب عَلَى حيث شاءت من البراوي والبساتين ٠ كما اني اوصي كذلك باصـلاح حالة مذاخر الطعام الكبيرة في العاصمة وجعلها بشكل يمنع نفوذ الفيران اليها والتغذي بمحتوياتها ومثلا جعل محيطها وارضها من الزنك او السمنت الذي يصعب عَلَى الفار حفره ونبشه وذلك لتأمين الغاية نفسها الذي سبق ذكرها ٠

وثم توجد نقيصة صحية اخرى في دورنا اود الفات النظر اليها وبذل السعي لازالتهـا وهي وضعية الابار والمراحيض والبلاليع في هذه الدور ٠ ان استعمال مياه الابار المجاورة للمراحيض والبلاليع سواء كان للشرب او لسائر الاستعمالات البيتية مضر ومخطر من نقطة نظر حفظ الصحة مالم يتأكد فنيا بان لا يترشح شيء من مواد المراحيض والبلاليع الى مياه البئر ونظرا لطبيعة اراضى العاصمة المساعدة للترشح فان من الصعب جدا ان نتصور ان محتويات المراحيض والبلاليع عندنا لا تترشح الى مياه الابار وخاصة بعد ان نتأكد من ان مياه دجلة تترشح الى ما وراء المدينة والى مسافات تبعد عن ساحل الشط باكثر من الف متر وبعد ان نتأكد ان المسافة التى تفرق بين المراحيض والبلاليع والابار داخل البيوت لا تزيد عن بضعة امتار وخاصة بعد ان نعلم ان كثيرا من الميقروبات المرضية المخطرة (كالتيفو والدوزنتيري والقوليرا) يمكنها ان تعيش في وسط مرطب دافئ كالبلاليع والمراحيض بضعة اسابيـع وحتى بضعة شهور يتجسم لدينا حينذاك خطر ومهالك استعمالـ مياه الابار ونتأكد من لزوم تركها والسعي للتخلص من مضارها ان مرض التيفو عندنا هو مرض بلدي ولا يمر شهر من اشهر السنة بدون ان تحدث من هذا المرض عدة وقوعات في العاصمة وكذلك مرض الدوزنتيري — والسبب المهم في ذلك هو استعمال مياه الابار من قبل اهالي العاصمة لا لاجل الشرب — حيث ان اكثر مياه آبار العاصمة مالحة الطعم لاحتوائها عَلَى مقدار عظيم من السوديوم والمغنيزيوم وما يشابهها من الاملاح المعـدنية — بل لاجل الاستعمالات البيتية وسبب استعمال الاهالي لمياه الابار هو عدم تعميم مياه المضخات المعقمة والصـالحة للشرب حيث اذا لاحظنا ان في بغداد يوجد (٢٠٦٦٧) دار وما يقارب الـ (٤٠٠٠) دكان وخان واوتيل وقهوة الخ ٠ من الاماكن العمومية وان من هذا العدد الذي يبلغ الـ (٢٤٦٦٧) فقط (٩٠٠٠) دار مجهزة بميـاه المضخات و (١٥٦٦٧) دار ومكان عمومي يستعمل مياه الابار لاجل الاحتياجات البيتية اتضح لدينـا جسامة الاخطار المعروضة اليها سكان العاصمة قاطبة ولذلك اني احث من يهمه الامر بلزوم الاسراع في اكمال نواقص تجهيز واسالة المياه الى جميع دور العاصمة وسائر اماكنها العمومية كي يتسنى لهذه الدائرة عند اكمال هذا المشروع الحيوي ان تتخذ الترتيبات لسد جميع الابار في العـاصمة ومنع استعمال مياهها وبعد اكمال

مشروع الماء يقتضي ان لا يهمل مشروع القاناليزاسيون وهو اخراج جميع الاقذار والاوساخ السائلة البشرية بواسطة قنوات وانابيب خارج المدينة وعدم تركها تتفسخ وتنحل تحت الاماكن التي نسكن فوقها — حيث اننا اليوم لو نظرنا الى ما تحت السوية الترابية للعاصمة بقدم واحد لرأينا انفسنا جالسين فوق بقع من السيان والاوحال القذرة الغائطة البشرية حيث مواد غائطة وادرار واطراحات وافرازات (٣٠٠٠٠٠) نفس يوميا ندخرها تحتنا ولا نخرج منها شيئا الى خارج العاصمة وهذه الحالة تتكرر كل يوم ولا شك — فبناء عليه ان ارض العاصمة اليوم هي اشبه بمستنقعة في منتهى الكراهية والقذارة الا ان فرقها الوحيد عن سائر المستنقعات التي نشمئز من الاقتراب اليها هو ان سائر المستنقعات مكشوفة الوجه ومستنقعتنا هذه مغطاة بطبقة من التراب لا يزيد ثخنها عن القدم الواحد — وان مضرات هذه الحالة جسيمة جدا حيث اولا ان كل مرحاض في الدار هو منبع لانواع الامراض الحمية السارية والمنتنة ثانيا ان كل بالوعة ومرحاض كذلك هما منبعان جسيمان لافساد الهواء وجعله غير صالحا للتنفس هذا من الوجهة الصحية فقط عدا الوجهة الاجتماعية والمدنية التي ترفع وتنزه البشرية من ان تسكن في اماكن تتصاعد من داخلها ومن حواليها روائح الاقذار والسيان ليلا نهارا — وبناء عَلَى ذلك ان من اهم الواجبات الصحية والمدنية للعاصمة الاسراع في تشكيل مشروع القاناليزاسيون ·

ونظرة واحدة الى الجدول الاخير تبرهن لنا عَلَى ان مرض الدوزانتيرى والتيفو هما ملازمان لنا ويهدد اننا في كل وقت وحين طالما توجد في بيوتنا مداخر للغائط والسيان وطالما نستعمل مياه الابار ·

	اصابات التيفو		اصابات الدوزانتيري	
سنة ١٩٢٤	الرصافة	الكرخ	الرصافة	الكرخ
كانون الثاني	٣	—	١	—
شباط	٦	—	—	—
مارت	٣	—	٢	—
نيسان	١٠	—	١	٢
مايس	٣	٣	٨	—
حزيران	٣	—	١	—
تموز	٥	١	٤	٣
آب	٦	—	١	—
ايلول	٨	١	١	—
تشرين اول	٥	١	-	—
تشرين ثاني	١	١	١	—
كانون اول	٧	—	٢	—
المجموع	٦٣	٦	٢١	٥

وارجو ان لا تعتبر اعداد هذين الجدولين اعداد المرضى الذين اصيبو بالتيفو والدوزنتيرى في العاصمة خلال سنة ١٩٢٤ — لا · بل ارجو ان تعتبر هذه الاعداد هي اعداد المرضاء الذين اصيبو بالتيفو والدوزنتيري في العاصمة خلال سنة ٩٢٤ والذين عرضوا انفيسهم لمعالجة الاطباء المأذونين فقط اما الذين اصيبو بهذه الامراض ولم يراجعوا الاطباء لمداواتهم عَلَى اقل تخمين اربعة امثال الاعداد المدونة اعلاه — وبناء على ذلك اذا ضربنا

الاعداد المدونة اعلاه باربعة امثالها يظهر ان ما يقارب الاربعمائة نفس من نفوس العاصمة تذهب سنويا ضحية لهذه الامراض التي منشئها المهم هي المراحيض والبلاليع والابار ·

ان ذهنية العامة عندنا تعتبر تحصيل جميع العلوم والصنائع والفنون ينبغي ان تكون وراثية ويتقلدها الحفيد عن الاب والاب عن الجد وهلم جرى — ولا تعتبر الرجال الذين يحصلون على علومهم وفنونهم في المدارس الراقية كرجال جديرين بان يقوموا باعمالهم التي درسوها واختصوا لها ولذلك نرى الاهالي عامة ترجح ان تبنى دورها عند البنائين الاميين على المهندسين الاختصصيين وان تاخذ رأى الفلاح القديم في امور الزراعة بدون الالتفات الى رأي المهندس الزراعي العصري وكذلك في امور الطبابة فانها تعتبر وتقدم الشيوخ والمشعوذين والمتطببين على الاطباء المأذونين وسبب ذلك كله انها قد نست مدارس الشرق وعلومه واختصاصييه وكيف كانو يتخرجوا من مدارسهم ويستلموا زمام تمشية امور الاحتياجات العامة قبل بضعة عصور فصارت ترى المدارس امور مستحدثة والعلوم العصرية اشياء غريبة وخاصة اذا جائتها هذه النظم والعلوم كلها من الغرب وبدون من يكون لها سابق اتصال او علاقة بهما فطبعا تستغرب من كل مستحدث ومن كل ما هو غير مألوف وغير وطني عندها ومن هنا تنشأ كل العوامل التي تبعدنا عن ما جاء به قرن العشرين · الا ان الحكومة يمكنها ان تغض الطرف عن كل ابتعاد او استغراب تبديه العامة تجاه ما جاء به القرن العشرين من علوم وفنون وصنائع حيث كل ذلك لا يوثر الا في اقتصاديات الشخص او استراحته ورفاهيبه ولكنها لا يمكنها ان تغمض عينها بوجه من الوجوه تجاه ميل العامة الى المشعوذين والدجالين من المتطببين وابتعادهم عن الاطباء العصريين وعن ما يأمر به علم الطب في قرن العشرين نظرا لتأثيراته الصحية والحياتية الوخيمة ولذلك ترى الحكومة قد سكتت تجاه البنائين القدماء والفلاحين العتق الا انها لم تسكت تجاه المتطببين والمشعوذين القدماء فقد سنت نظاما في ١٩ نيسان ١٩٢٣ ورقم ه د — ٩٢٢ منعتهم به من الاشتغال والتطبب بتاتا وبذلك فسحت الحكومة رجال العمل للاطباء المأذونين ولهيئة الصحة من ان يطبقوا ما تأمر به العلوم الطبية في القرن العشرين حيث قبل هذا النظام كانت حيثية الطبيب الفني والمشعوذ الابتر في نظر العامة متساوية وكثيرا ما كان المشعوذ يتجاوز على حيثية الطبيب ويهين شرف صنعته ووقار مهنته ومسلكه ناهيك عن المداوات الغير صحيحة التي كانوا يطبقونها عَلَى المرضاء وما تولد من المضار الحياتية والصحية العظيمة وما تولده مداواتهم من اخطار سراية الامراض بين مرضاهم وبين اهالي البلد لجهلهم مبادئ الباقتيريولوجي والافعال الحياتية للميقروبات · واني اثبت براپوري هذا قائلا ان الحكومة بموافقتها على نظام منع المتطببين من الاشتغال بالتطبب قد افادت صحة الاهلين افادة عظمى لا تقدر — ومن الجهة الاخرى عندما رأت الاهالي ان ليس هناك متطبب يمرضهم اضطروا بطبيعة الحال الى مراجعة الاطباء الفنيين ومركز الصحة الرسمية وبذلك صار يزول بالتدريج التوحش المتمركز في ذهنية العامة تجاه الطب العصري والتداوي العلمي الفني وذلك يظهر من الاعداد العظيمة المبينة في الجداول المخصوصة للمرضاء المراجعين الى مراكزنا ·